خلاصة الشعر

صباح القس/ بغداد Sabah_ alkass@yahoo.com

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكله
ويأكلُ المالَ غيرُ من جمعَه
لا تعادِ الفقيرَ علّكَ أن
تخشعَ يوما والدهرُ قد رفعَه

هذان البيتان من قصيدة للشاعر الأضبط بن قريع السعدي، وهو من شعراء الجاهلية، كان قومه أساؤوا اليه فأنتقل عنهم الى آخرين فأساؤوا مجاورته، فأنتقل ايضا الى قوم اخرين فأساؤوا له ايضا فرجع الى قومه وقال "بكل واد بنو سعد" ويقصد قومه، ويقال انه قال "أينما أوجّه القى سعدا" وورد "أينما أذهب القى سعدا"، فسار قوله هذا مثلا.. وقصة هذا المثل بأن سادات كل قوم ينالون حسدا من قومهم الذين هم دونهم في المنزلة، والأضبط كان سيد قومه فنال منهم ما يناله غيره من الحسد والغيرة والكره.

الناس ضمن منظور الشاعر قسمان، قسم يجمع المال لغرض الجمع والتباهي ولذلك فهو يضحي بكل شيء لغرض التجميع، فالجمع عنده غاية وهواية وعليه تهون عنده كل ملذات الحياة، فلا يأبه لها ولا يحسب لها حسابا. فاذا دنت المنية حمله اهله وأصحابه على آلة الحدباءفلا يحصل من كل ما جمعه الا على مترين من القماش ومترين من الارض.

وبعد أن ينفضّ المأتم يجتمع نفس الأهل والأصحاب ليقتسموا الغنيمة فيأخذ كل واحد نصيبه دون عناء وجهه فيأكلون ما جمع صاحبهم دون تعب وجهد.

اما القسم الآخر فهو من يسخّر المال لخدمته فينفقه على ما تستوجبه متطلبات الاهل والاولاد دون تقتير او اسراف، فلا يشكل الجمع لديه هما ولا هواية أوغاية انما الجمع لديه وسيلة لتصريف امور الحياة. ولا بأس ان يجتمع في خزانته شيء من المال اذا كان قد وفى حقوق الاهل وأعطى كل ذي حق حقه.

اما البيت الثاني فالمقصود به عدم احتقار واستصغار الآخرين والتعامل معهم بإستعلاء ضمن اي موقع او أي منزلة تكون فيها، فالدهر لا يؤتمن وتقلبات الايام غير محسوبة فربما تدور الدوائر، فاذا من كنت تحتقره بالامس اصبحت بحاجته اليوم والتاريخ يروي لنا الكثير من هذه الحقائق والعاقل من يعتبر.

نظرة رؤيوية: حمى آنو في ضيافة الاله مردوخ

كريم اينا/ بغديدا

صدرت للشاعر شاكر مجيد سيفو مجموعة شعرية سنة ٢٠٠٤ بعنوان حمى آنو. المجموعة تقع في "٦٧" صفحة من الحجم المتوسط، تضم المجموعة تسع عشرة قصيدة من إصدارات المركز الثقافي الآشوري/ دهوك ٢٠٠٤.. ضم غلاف المجموعة الأمامي لوحة ثرية للفنان المبدع ماهر حربي أما الغلاف الأخير تظهر فيه صورة الشاعر مع اسمه. تبدأ المجموعة بقصيدة طويلة في ص ٤ بعنوان "سبعة ألواح عراقية" مهداة الى الشاعر يونان هوزايا.

ان الخلق لا زال الشغل الشاغل للشاعر وديدنه الوحيد للوصول الى العالمين العلوي والسفلي فتراه في اللوح الثالث يقول: تسألني الخلائق والخلق والخلق والشهداء لماذا تحب العراق؟/ هكذا، لأن عمره الكوني يوصل سرّة الأرض بسرّة السماء. فعلا لقد صدق الشاعر عندما بدأت ولادة أول طفل على الأرض الذي قطعت سرّته من مشيمة أمه. رمز الشاعر شاكر سيفة بدبابيزه اللاصقة على حبال من ذهب تظهر ص٦ آلهة عديدة يحشرها الشاعر في جوف زجاجة واحدة تعبر عن القمر والاخرى عن الرعد والسماء كلها ذكرى لعيد ميلاد آشور الأربعيني فتارة تراه يغسل بعطر السماء واخرى بماء حضارة وادي الرافدين. تتكرر عبارة الكعكة السماوية لدى الشاعر لأن روحه لا زالت معلقة ما بين الأرض والسماء حتى الزوال. يربط الشاعر الرمز الديني بمفردات القصيدة مثل: لم تكن الديكة إياها التي أنبأتني/ بدمعة بطرس وحزن يعقوب. كما نعلم نحن الشعراء بأن شاعرنا شاكر سيفو شيخ الشعراء في بغديدا دلالة واضحة على وقاره فكل شعرة بيضاء من رأسه قصيدة ولهذا فالجدير بالذكر بأن المبتدئين في الشعر والواعدين للأدب أصبحوا يقلدونه في كل أدواته سواء طريقة كتابة الشعر في المجتمع أو حتى الإلقاء ليس حبا به فقط وإنما لاعتراف بقدراته التخييلية ذات الخيال الواسع.

ورغم ذلك ما زال يطل على الهواء بقبعة الغيم وجنازة المطر. انظر قصيدة: شهوة الفخاخ/ الأبواب تتآمر على غيابنا ونحن ندلق من فم القمر/ نرصّ بلاغة الظلام. هذه ذكريات سعيدة ربما ص ١٣ نجعل ذراع الشاعر خضراء ترسو فوق قارب النجاة والتي من النادر تداولها حيث الذراع هنا مؤنث جنس وكأنه يقول لي طويلة. أما قصيدة كتاب مردوخ فهي ما زالت تطرز النوتات وتنمنم فوق شفاه الزمن موسيقى لمطر الرب وكما نعلم لكل شاعر شيطان، فشيطان شاكر لا زال يشهق أمام الضوء ليمجد حبة الخردل، تظهر قصيدة ضوء العائلة الاولي يقول: ويبني أربعة متاحف لعائلة الحرف ربما هذا خطأ مطبعي بريء من عائلات الحروف كلها، وثمة مفارقة يرتنيها الشاعر وهي قصيدة أحزان. الولد وكآبة البطيخ تظهر مسميات/ ويدمع البصل/ الولد للبطيخ/ الدمع والزقوم. كلها تركض وراء سير حذاء الشاعر الذي ينتهي عند المرقّعين تراه في ص٢٢ يقول: ويعلي "علي بابا" قدح النارنج/ "شربت زبيب الكهرمانة". هذه القصيدة تذكرني بكهرمانة والأربعين حرامي سكبت الزيت عليهم، الخرائط والتضاريس قارورة دمع يرتشفون منها كلما شعروا بالحزن والغيبوبة أمام شارعية شيخ مرقد "النبي يونس" أي نبي يونان أعلى التلة لا زال ينن ويصيح عن طريق أسلاك الهاتف. كان الأقدمون يقولون ما فحواه: لا تصقل نفس المتأدب إلا إذا حفظ هاشميات الكميت، وخمريات أبي نؤاس، وزهديات أبي العتاهية، وتشبيهات ابن المعتز، ومدائح البحتري، وحجازيات الشريف الرضي.

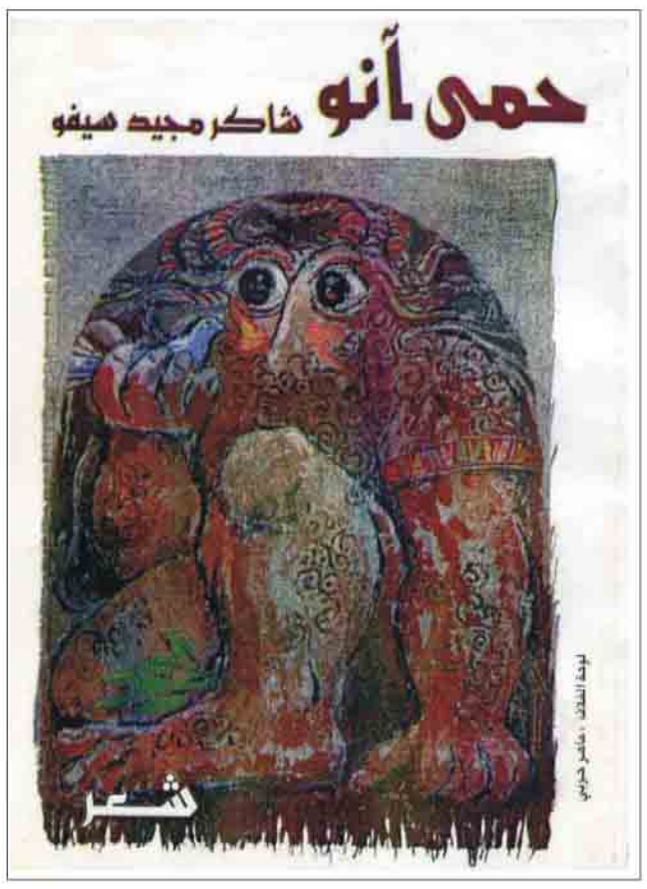

ومن خلال ما تقدم نرى شاعرنا شديد اللصوق بنفسه، ذو شعور حي عميق الإحساس وعشق الشاعر نزاع بين العقل والقلب فمرة تراه ينادي القرنفل واخرى زهرة الروح ينادي نفسه ويشجعها على تحمل آلام الحياة. وللمعري بيت شعر يقول فيه:

واني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

إن حمى آنو عند شاكر سيفو رفيعة كالبدر تكون خبرا أو حكاية أو فكاهة أو سمرا وما الى ذلك. أحيانا يميل الى الخرافات والأساطير مما يزيد الشعر رقيا فنيا أدبيا يروق للناس رواجه سواء في سوق عكاظ قديما أو المربد حاليا، ففي قصيدة حمى مطبخ الجنون يقول: فتقيأت حساء الحرب/ في شرفة البيت/ في الطابق الثاني من أيامي/ كل هذا من أجل بئر لم تصلها قدماي. أما نص تطريزات من صالون خياطة ٢٠٠٠ الذي نشر نصفه في مجلة الحركة الشعرية في المكسيك لسبب متعمد من قبل المتسولين في الشعر نراه الأدعية كلاهما يكشطان الظلام من حنطة العائلة. يخط الشاعر في قصيدة رسم راحيل: التراث الحضاري الذي هو فائض تراكمي نتيجة للخلق والإبداع في السلوك والأمين الريحاني مقولة تقول: "ان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الأدبية الروحية التي يتألف بها العلم". يجعل شاكر سيفو جميع الالهة في العالم القديم "رب نفسه" ولكنه يتبع مذهب التقمص حاله حال جبران خليل تفكيره تسيطر عليه العاطفة حيث لم يلزم حدود الرصانة وهذا موقف غير ايجابي، قصائد شاكر سيفو حافلة بالسلاسة والإنسجام رغم طفولتها بالفكاهة ربما تتنوع بتنوع الموضوعات.

أما في ص٤٢ يقول: أأنا أنصت للحائط أم الحائط ينصت لي؟!/ تلك ثرثرة الأخطاء التي يغرغر بها حلقي/ فهي تذكرني بمجموعتي الاولى: زهرة لا تهوى برد الشتاء عندما أقول: أأنا أريدها/ أم هي تريدني؟/ عمري أفدي لها بأبي وأمي. مرة اخرى يعود الى عيون القديسين ينتظر سعال الديك فجرا لحد ص٤٧ أراها مختلفة تماما عن ص٤٨ الى الصفحة الأخيرة من المجموعة لحد ص٤٩ لم أمسك أي وقفة أو هفوة على الشاعر شاكر سيفو، ما أجمل الصورة في هذا المقطع/ يمشي وتمشي خلفه الأشجار/ يقف وتقف مثله الأشجار/ يجلدها بسياط مزيفة/ وتجلده بسياط ربيعها وتشق في صدره الأنهار. الطريق على الموت والثلج والتنانين.

وسيبقى الشاعر شاكر سيفو أحد الشعراء الواضعين البصمة والبصمة الخفية الرمزية للشعر. أتمنى له الموفقية ودوام تجديد الحركة الشعرية في الأدب العربي.

كاظم النصار: "المسرح برلمان آخر لقول الحقيقة"

ماجدولين الرفاعي*

يحظى المسرح العراقي بمكانة مرموقة في عالم الفن المسرحي العربي. ونجح هذا المسرح في تقديم تجارب إبداعية غنية تركت بصمات مهمة على الكثير من التجارب العربية الأخرى. وفضلا عن عمر مديد وامكانيات فنية بارزة، سواء على صعيد التأليف او التمثيل او الاخراج، فقد ظل المسرحيون العراقيون ينهلون من ثراء لا ينضب يدفعهم لبناء تجاربهم الإبداعية الخاصة، ولتقديم ما يساهم في تعزيز مكانة المسرح ودوره في الحياة الثقافية.

والمخرج كاظم النصار واحد من هؤلاء. وكانت مسرحية "نساء في الحرب"، واحدة من ابرز أعماله وهي ترصد مسيرة ثلاث نساء عراقيات يهاجرن عبر الطرق الوعرة الى المانيا وهناك يطلبن اللجوء الانساني. وهي من تأليف: جواد الاسدي، وتمثيل الفنانة الكبيرة ازادوهي صموئيل وزهرة بدن وبشرى اسماعيل وباسل شبيب. وكانت المسرحية عرضت في بغداد وفي مهرجان الفانيس بعمان وفي اربيل في "اسبوع المدى" الثقافي وكذلك في مهرجان القاهرة التجريبي ٢٠٠٦، وفازت ازادوهي على لقب افضل ممثلة عن دورها فيها. وما بين مقهى جفرا في وسط عمان ومقهى الروضة في وسط دمشق تشكل جسرا للثقافة، والتقينا من خلاله النصار، وكان لنا معه الحوار التالي:

– كاظم النصار انسجاما مع تجربتك المسرحية الكبيرة على صعيد الاخراج المسرحي، ترى اين تقف الان؟، وخاصة بعد تجربتك المهمة في عالم المسرح العراقي؟.

* ليس مهما اين يضع الاخرون تجربتك. الاكثر اهمية ان يكون المخرج صاحب مشروع تنويري على صعيد المسرح الذي هو بالضرورة مرتبط بالام الناس ومعاناتهم ونكباتهم. انا اعمل منذ فترة على ترسيخ مشروعي الذي بدأته مطلع التسعينيات واسماه النقاد "حياة مابعد الحرب" وهو يرصد التغييرات التي حدثت على الفرد سياسيا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا وقدمت من خلال هذا المشروع اثنتي عشر تجربة وعرض نالت حقها من النقد والتقديم وحتى الجوائز المهمة. واسعى لتوكيد هذه التجربة ونشرها في المحيط العربي والعالمي لكي تكون لي بصمة حداثية في الوجدان المسرحي والانساني.

– في ظل هذه الظروف الصعبة، كيف يرى كاظم النصار مستقبل المسرح العراقي؟.

* مستقبل المسرح العراقي مرتبط باستقرار البلاد. فدون ذلك لا يمكن ان يكون هناك مستقبلا. فالمسرح ابن التحضر والمدنية والسياسة المستقرة.. نحن نحتاج الى بناء فعال لكل المؤسسات وترسيخها واعتقد ان البلاد ومؤسساتها ستهب عليها رياح الخصخصة ولذلك على الدولة ان تبقى دعمها للمسرح لحين وقوف المسرح على قدميه، وعندما تستقر الاحوال سيكون هناك جمهور كمي نوعي ووفرة في العاملين من فنانين وفنيين وتقنيين وهذه عناصر اساسية لازدهار المسرح وتقدمه. المهم ان هناك محولات جادة لبناء المسرح من حيث المكونات ومن حيث البنية التكوينية للعرض ولكن هذا لا يكفي بل نحتاج الى ستراتيجية وخطط وممكنات أعم كي نستمر.

– برأيك هل انجز المسرح العراقي على امتداد مسيرته الابداعية شيئا مهما قياسا بالمسرح العربي عموما؟.

* نعم وبقوة. واعتقد ان المسرح العراقي الى جانب المسرح التونسي ومسرح بعض البلدان العربية الاخرى مثل سوريا ولبنان يشكل العمود الفقري لحيوية المسرح وطليعيته وحداثته. والمسرح عبر عمره العراقي الذي يمتد الى اكثر من مئة وخمسة وعشرين عاما قد انجز علاقة هامة مع الناس وانجز عروضا مهمة في الوجدان العربي وهو منذ منتصف الثمانينيات قد غادر الصيغ التقليدية وانتقل الى منطقة الحداثة والتجريب وذلك يعود الى حيوية الاساتذة الذي قدموا في بلدان اوروبا الشرقية والغربية وفق اساليب وافكار جديدة جعلت المسرح العراقي في المقدمة، اضافة الى ذلك فالعراق ولود بأجياله وكل جيل له مميزاته واساليبه وحتى حساسيته ولذلك انا من جيل الحساسية الجديدة مابعد الحرب واستمد قوتي من المعطيات والمؤشرات التي قدمها هؤلاء العظام.

– "النساء في الحرب" مسرحية من تأليف جواد الاسدي وإخراجك وقد عرضت في عدة دور مسرحية في العديد من الدول، ترى بعد عملك في "النساء في الحرب" إخراجيا هل استطاع كاظم النصار ان يجعل ذاكرة الجمهور تنحو بعيدا للإمساك بخيوط الابداع المميز والجديد؟.

* اطمح فعلا لذلك وتجربة "نساء والحرب" مازالت طازجة وعميقة فكريا وانسانيا واتمنى ان تعرض على منصات عربية وعالمية اخرى، فهي تناقش موضوع الهجرة والتهجير للعراقيين في كل الازمنة الصعبة والموحشة.. نحن ازاء عشرة ملايين عراقي مهاجرا ومهجرا ولكل منهم حكاية وقصة والم. نريد ان نعبر عنهم باقصى مايمكن وان نكون لهم املا في الوحدة والغفران والرجاء والسلوى. نريد ان نوقف هذا التمزق والضياع كله ونعود لبلدنا، لدي مشاريع كثيرة ولكنها كلها تصب في محنة الوطن والمواطن ومفهوم الوطنية والتحضر واشاعة المجتمع المدني والاستقرار، فانا ابن شرعي لكنني مشاكس لمشروع الحداثة في المسرح العراقي واريد الاستمرار باثارة الاسئلة مهما كانت قوتها وجرأتها. المهم ان المسرح العراقي مازال يماحك المنصات العربية حتى وهو تحت القهر والدم والالام والنكبات. فالمسرح العراقي برلمان اخر لقول الحقيقة الجمالية عبر تاريخه.

– علق بعض النقاد على مسرحية "النساء في الحرب" مشيرين الى ضعفها. ترى ما الذى اضفته على نص جواد الاسدي اخراجيا، واين يكمن الضعف في النص ام في الادوات الاخرى؟.

* نص "نساء في الحرب" نص قوي وأخاذ وقاس، لكنني نظرت له من زاوية عراقية، أي انني عشت في الداخل واقتربت من المرأة في الداخل وهذا سر الاختلاف في عرفي وعرف جواد الاسدي. المهم انني استشرفت تجربة المرأة ونكبتها من الداخل، من "تنور"، "فرن" عراقي ساخن، كنت اشم واسمع واري كل تجليات المرأة خارج وطنها وخارج حضنها الدافئ، وطبعا هناك اختلافات في الاسلوب فالمخرج والمؤلف جواد الاسدي يعمل على اسلوب يختلف عن اسلوبي فهو يعتمد القسوة ومشهدية الممثل وانا اميل الى البصر والمفردة المتحركة والمشهد الكلي.

– في خضم الفوضى العراقية، ماهي ادوات كاظم النصار كي تقدر على تجاوز الاستثناءات الذي يحيط ببلدك العراق؟.

* الفنان له دور المراقب والموجه للرأي العام والراصد للتغييرات التي تحدث في بلده وكذلك بمسك الثوابت الوطنية والاصرار عليها، وكل فنان هو استثنائي ويتماحك مع الاستثناء لكنه يشاكس الجماليات، يؤشر ويغير ويشجع، لذلك انا مع برلمان قوي، وصحافة حرة، وحكومة قوية قائمة على المجتمع المدني وعلى فكرة المشاركة السياسية الفعالة لكافة المكونات العراقية وانا مع الحوار السياسي البناء مع كل الاطياف بمختلف المذاهب والفيسفاء العراقي الملون. بدون ذلك سنكون في الفوضى الى الابد، لذلك فادواتي تتغير وتراقب وتتدرب على قبول الاخر والحوار معه لان ذلك تحفيز. وفي المسرح لا يمكن ان تغمض عينيك عما يجري بل ان تكون مشاركا وفاعلا بايجابية في استقرار بلادك وتقدمها.

– هل تعتقد ان جيل "الفنانة" زينب قادر على ان يتكرر في ظل عراق خال من الفوضى؟.

* نأمل ان يبقى العراق ولودا، ليس في الفن فقط بل في كل المناحي، ولذلك المعطيات العراقية متغيرة وقد اثبتت الوقائع والتاريخ على ان العراق عبر الاحتلالات المتكررة قادر على ان يخرج من تحت الرماد كطائر الفينيق. زينب وناهدة الرماح وفاطمة الربيعي وازادوهي صموئيل واخريات هن بنات تجربة العراق المتعدد والموحد، ولكن هل نستطيع نحن ذلك؟، كل هذا تابع للاستقرار والتغييرات التي ستحدث وتحدث رغم صعوبة التنبؤ بذلك.. وربما السينما في المستقبل ستأخذ حقها اكثر من المسرح، لان المسرح لا يستطيع مثل السينما رصد تلك التغييرات السريعة الدراماتيكية الاستثنائية.

– اين مكان المرأة في عالم كاظم النصار الانسان والفنان معا؟.

* بدون استعراضات وجمل فضفاضة.. المرأة تشكل كل حياتي لانني ولدت مع أمي ربتني يتيما، وبعد وفاة والدي، كانت هي الاب والام معا ولها الفضل في كل شيء، وهي التي اوصلتني الى ما انا عليه الان قبل ان تغادر الى جنات النعيم، وكل العلاقات الاستثنائية والدراماتيكية هي مزيج من ذكاء أمي وفطرتها وشفافيتها وقدرتها على مواجهة حياتها بمفردها، وقد اكتسبت منها كل ذلك. والمرأة في اعماقي صاحبة اليد الطولى في الرقة والجمال والعذوبة وايضا في الالم.. وكما قال نابليون: "الحرب تدور في قلوب الامهات وليس في جبهات القتال". المرأة ليست جزءا من مشروعي، إنما هي مشروعي بامتياز، وأنوثتها هي قصيدة حديثة بامتياز أيضا. لكنني مازلت أجهل غموضها وأسرارها ورعبها الجمال لا شيء سوى بداية، وهي الرعب الذي بالكاد يحتمل، كما قال الشاعر ريكلة على ما اظن.

– ختاما، ما هو شكل العراق الذي يحلم به العراقي كاظم النصار؟.

* ارجو الا يكون حلما، عراق خال من العنف تكون فيه فكرة المواطنة ليست فكرة فحسب وانما جزءا من التركيبة السياسية والاجتماعية، عراق الجواهري والسياب ومصطفى جواد وعلي الوردي وجعفر السعدي وصلاح القصب وكل الاسماء التي تصنع حيوية العراق وتشكل سرة العراق وثقافته.

اتمنى عراقا تكون فيه السيادة للقانون ويكون فيه برلمان وصحافة حرة وحكومة ومؤسسات دستورية، حالنا حال كل البلدان في كل بقاع الارض. وان نتخلص من فكرة المحاصصة والحزب الاوحد والانقلابات العسكرية، وان نقبل بالحوار السلمي والمقاومة السلمية السياسية، وكفانا اراقة للدماء وللنزيف المستمر. اريد عراق التعدد وعراق الحوار وعراق المؤسسات وعراق الثقافة.

* كاتبة وصحافية سورية.

عن المتنبي أيضا.. المبدع وحيدا

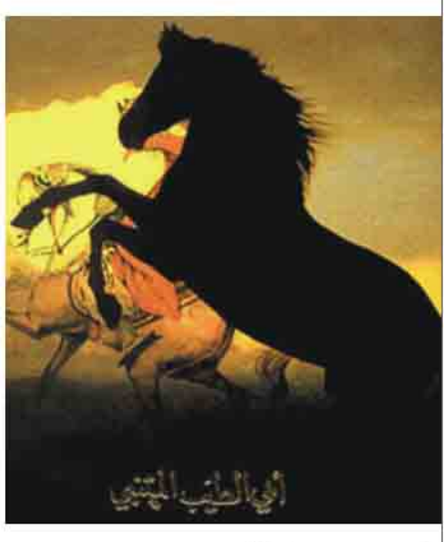

بقلم: محمد سناجلة*

في حوالي منتصف القرن الرابع الهجري كان ظهور المتنبي على الوسط الثقافي العربي السائد حينذاك، وقد كان هذا الظهور مدويا وصاعقا وعلى أكثر من صعيد، فقد ولد شاعر تحدى الذائقة النقدية السائدة، لا بل تحدى ما كان قد ترسخ من نظرية نقدية عربية قسمت الشعر العربي إلى قديم يتمتع بجزالة الألفاظ والمعاني وقوة البيان وبين محدث مغاير يسعى للاختلاف ويبحث عن معان جديدة وفق قوالب وأشكال جديدة كأبي تمام على سبيل المثال. فقد جاء المتنبي جامعا بين الطريقتين، فها هو شاعر صغير السن "يجيء بالجزالة والقوة والبيان على خير ما كان يجيء به القدماء، ويغوص على معاني الحياة الانسانية غوصا بعيدا ويضمن شعره فلسفة حياة وثقافة وصورا جديدة مبتكرة لم تكن من قبل" كما يقول الدكتور احسان عباس في كتابه القيم تاريخ النقد الأدبي عند العرب. تهاوت النظريات النقدية السائدة، وبتهاويها وقف نقاد عصره أمامه موقفا لا يحسدون عليه، حيرة في التعامل مع هذه الظاهرة الجديدة كل الجدة عما اعتادوا عليه من شعر وشعراء. وصدمهم المتنبي مرة ثانية بشخصه المتعالي وأناه المتضخمة، وتكبره عليهم وعلى غيرهم من نقاد وشعراء وأدباء ذلك الزمان لا بل تعدت كبرياءه كل حد بتعاليه على سلاطين وأمراء زمانه وابتدائه بنفسه قبلهم، مستخفا بكل ما اتفق عليه من أصول مخاطبة الممدوحين من ملوك وأمراء وسلاطين. فهو القائل في مجلس سيف الدولة:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم

فسأله مغرض حاسد "وحتى الأمير" فسكت المتنبي. وهو القائل أيضا في مناسبة ثانية وأمام أمير اخر مخاطبا حاسديه في مجلس ذاك الأمير:

وكيف لا يحسد امرؤ علم له على كل هامة قدم

وتكثر الأمثلة من شعره على مدى اعتزازه بنفسه واستصغاره بالاخرين حتى لو كانوا ملوكا وأمراء. وزاد الأمر تعقيدا أن قام هذا الشاعر الصغير بازدراء التراث الشعري العربي كله، فقد رأى بنفسه أن الشعر يبتدئ به وينتهي عنده وإليه، ولم يكتف بذلك فما مرت سوى فترة قصيره حتى أعلن نبوته متحديا وكاسرا اخر الحدود، فلا حدود أمامه.ويروي ابن كثير في تاريخه "البداية والنهاية" قصة طريفة عن كافور الاخشيدي الذي كان قد وضع الجواسيس والعيون حول المتنبي ليلا نهارا، فسأله أحد الأمراء مستغربا ومستهجنا: يا مولاي أتخشى هذا الرجل وما هو سوى شاعر يترزق بشعره! فأجابه كافور: هذا رجل طلب النبوة وادعاها أفلا يطلب الإمارة والملك؟ جن جنون النقاد والأدباء المعاصرين له فكان هجومهم عليه كاسحا، مدويا ومدمرا في ذات اللحظة، لم يتركوا شيئا إلا وهاجموه به، حتى شخصه وعائلته تم شن الهجوم عليهما. ونشبت معركة ضارية حول المتنبي بين خصومه الكثر وأنصاره القليلين "ولكن حصادها كان قليل الغناء، لأن خصوم المتنبي أرادوا تحطيم شعر المتنبي انتقاما من شخصه وتعاظمه وتعاليه، ولذلك كان أكثر همهم منصرفا إلى التأكيد على أن شعره "مرقعة" مصنوعة من معاني الاخرين، ولم تكن الوسائل النقدية عند الأنصار قد تطورت بما يناسب الجدة التي طلع بها المتنبي على الناس". وهكذا كان المتنبي غريبا في زمانه، كثير الحساد والأعداء، قليل الأنصار إلى أن مات مقتولا على يد أحد أعدائه. وفي حقيقة الأمر فإن وجود مبدع متميز مثل المتنبي كان يتطلب وجود ناقد مبدع أيضا، ولكن هذا الناقد لم يوجد للأسف إلا بعد أن مات المتنبي بفترة طويلة، حيث ذهب نقاد عصره إلى تنقصه ومحاولة إظهاره على عكس ما هي حقيقته، فقد أظهروه بأنه سارق، منتحل، مقلد بل وحتى ليس بشاعر. فها هو ابن وكيع في كتابه "المنصف" يتناول ديوان المتنبي قصيدة إثر قصيدة، مبينا انتحال المتنبي وسرقاته وسقطاته وإذا بنا في نهاية الكتاب نكتشف مع ابن وكيع أن المتنبي لم يكن شاعرا ألبتة، بل سارقا لمعاني الاخرين وألفاظهم، وهكذا ذهب بقية نقاد زمانه في محاولة شاملة لتدمير المتنبي إنسانا وشعرا ومعنى. وفي الحقيقة فإن هذا الأمر يثير الدهشة حقا من زاويتين:

الأولى: هذه الجرأة والمقدرة لدى النقاد وأشباه المبدعين في محاولتهم لتدمير موهبة عز نظيرها، وبعيون مفتوحة لا تهتز لها شعرة من رمش.

الثانية: أن كل مبدع حقيقي يثير حوله زوبعة عظيمة من مشاعر العداء والحسد والغيرة التي ليس لها تفسير إلا أصالة ذلك المبدع وزيف من هم حوله.

وقد كان وقع هذا العداء غير المبرر على نفسية المتنبي مريرا، وولد شعورا طاغيا بالوحدة والغربة وسط الأهل والوطن، ومع ذلك فقد كانت ردة فعله مزيدا من التعالي ومزيدا من الإخلاص للشعر والقصيدة. والمتمعن لديوانه سيجد أن ما لا يقل عن ربع شعر المتنبي كان في الرد على هؤلاء الذين كان يسميهم بالحساد ومن أحسن ما قال واصفا حاله واياهم:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا أعاتبه صفحا وإهوانا
محسد الفضل مكذوب على أثري
ألقي الكمي ويلقاني إذا جانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني
إن النفيس غريب حيثما كانا

ويبدو أن وجود المبدع الحقيقي هو حالة كسر لكل ما هو طبيعي مما اعتاده الناس، مما يثير من حوله دائرة من الكراهية والرفض التي تولد بدورها شعورا بالغربة والتفرد عند الذات المبدعة ينعكس على شكل قلق ابداعي خلاق هو سبب كل ما وصلت اليه البشرية من تطور وحضارة.

* عن ميدل ايست اونلاين